
المحميات الطبيعية صيانة للتراث البيئي السياحي

صليحة عشي(*)

أستاذة العلوم الاقتصادية، جامعة باتنة - الجزائر.

=====

مقدمة

أفرزت عمليات التنمية الاقتصادية آثاراً سلبية في البيئة وفي المجتمعات البشرية، وقد أسهمت السياحة بمختلف أنشطتها في تدمير هذه البيئة بشكل أو بآخر. لذا أصبحت المحميات تشكل حلاً جزئياً لمواجهة هذه الآثار. وقد جاء انتشار المحميات الطبيعية والثقافية في معظم دول العالم، ولا سيما منذ النصف الثاني من القرن العشرين، لتفعيل دورها في التنوع البيولوجي في التنمية المستدامة، وحماية الموروث الإيكولوجي والبيئي والثقافي المهدد بالانقراض، وتنمية السياحة البيئية، باعتبار هذه المحميات أحد عناصر الجذب السياحي لنوع معين من السائحين والدارسين والمهتمين بشؤون البيئة.

وإدراكاً للمخاطر التي تترصد التنوع الإحيائي، ولأهمية الحفاظ على الحياة الفطرية في بيئاتها الطبيعية، فقد سعى العديد من الدول إلى إنشاء مناطق محمية بغرض صيانة وحماية الأنظمة البيئية ومكوناتها الحيوية، إلى جانب حماية الخصائص والسمات الطبيعية والثقافية، فضلاً عن العمل على تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات، وأصبحت حماية البيئة من أولويات برامج التنمية التي تسعى إلى تجسيدها من خلال إقامة مختلف أنواع المحميات.

وسيتّم التركيز في هذا الجزء من الدراسة على تجارب قامت بها بعض الدول في تطبيق مفهوم السياحة المستدامة من خلال إقامة نماذج من محميات متنوعة، ومن ثمّ يمكن الوقوف على مدى نجاح هذه التجارب في هذا المجال، والاسترشاد بها لتطبيقها في الدول التي شملتها هذه الدراسة.

١ - مشكلة الدراسة

تعاني البيئة أضراراً جسيمة جرّاء عمليات التنمية المتسارعة بكل أنماطها، وتعتبر السياحة إحدى هذه العمليات التي أفرزت أنشطتها المختلفة أثراً سلبية لحقت بالعناصر البيئية. ولذلك، فإن مشكلة هذه الدراسة تتمحور في إظهار كيفية صون البيئة من خلال إقامة المحميات بكل أشكالها لتحقيق سياحة مستدامة. وفي ضوء هذه المشكلة يتم طرح الأسئلة الفرعية التالية:

- ١ - ما مدى اتساع مفهوم المحميات الطبيعية في التشريع الدولي؟
- ٢ - ما الدور الذي يمكن أن تؤديه المحميات الطبيعية في صون البيئة وتحقيق السياحة المستدامة؟
- ٣ - ما هي النتائج التي حققتها المحميات من واقع تجارب دولية؟

٢ - أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- ١ - صون الثروات البيئية المهددة بالانقراض.
- ٢ - تنمية السياحة البيئية وتشجيع السياحة الهادفة.
- ٣ - تفعيل دور المجتمعات في صون التنوع البيولوجي في التنمية المستدامة.
- ٤ - إبراز نماذج دولية في مجال إقامة المحميات الطبيعية.

٣ - أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة في توجيه أنظار المهتمين والدارسين والباحثين في مجال البيئة إلى الأخطار التي تهدد بقاء حياة الإنسان وكل الكائنات الحية، وأيضاً إلى كلّ الأخطار التي تحدث بالبيئة الثقافية والحضارية التي هي نتاج تراكمي لتاريخ وثقافات وهويات الشعوب على مرّ الزمن.

كما تتضمن أهمية الدراسة نداء لفتح مجالات واسعة في تعميم تطبيق أسلوب المحميات لتشمل كل الثروات البيئية، ولا سيما المهددة منها بالزوال، والاستفادة قدر الإمكان من الميزات التي توفرها هذه المحميات للمجتمعات حالياً ومستقبلاً.

٤ - منهجية الدراسة

تم استخدام المنهج الوصفي لتناسبه مع طبيعة الموضوع وأهميته في عرض معطياته لتحقيق أهداف الدراسة. وفي سبيل إثراء هذه الدراسة بمعلومات متنوعة وذات قيمة علمية وحديثة، تمّ الاعتماد على مجموعة من المراجع باللغتين العربية والأجنبية، تمثلت في كتب

وبحوث ودراسات متخصصة، ومقالات وتقارير صادرة عن منظمات وهيئات محلية وإقليمية ودولية، إلى جانب مواقع في الإنترنت ومجلات ودوريات.

أولاً: مفهوم المحميات الطبيعية

يُنظر إلى المحميات الطبيعية (Protected Areas) على أنها مناطق محدّدة الأبعاد جغرافياً تفرض عليها الحماية بموجب قوانين، للمحافظة على ما تتميز به هذه المحميات من تنوع بيئي وطبيعي، وحفاظاً على تلك الموارد من الاستغلال الجائر أو الانقراض. كما تعتبر المحميات الطبيعية في هذا الكوكب ضرورة ملحة لما لها على المستوى الاقتصادي والمادي والبيئي، وأيضاً على المستوى النفسي والاجتماعي، من نتائج إيجابية، سواء من حيث حماية الطبيعة ومواردها، أو صون التراث الحضاري والثقافي للشعوب، وضمان حق الأجيال القادمة في هذا الإرث^(١).

تعاني البيئة أضراراً جسيمة جرّاء عمليات التنمية المتسارعة. وتعتبر السياحة إحدى هذه العمليات التي أفرزت أنشطتها المختلفة آثاراً سلبية لحقت بالعناصر البيئية.

وعرّف «الاتحاد العالمي لصون الطبيعة» (International Union for Conservation of Nature and Natural Resources (IUCN))

المناطق المحمية بأنها: «مساحات من الأرض أو البحر مكرّسة خاصة لحماية وصون التنوع البيولوجي، والموارد الطبيعية والثقافية المرتبطة بها، من خلال مساعدة قانونية أو غيرها من الوسائل الفعّالة»^(٢). وعرّفتها «الجمعية الملكية الأردنية لحماية الطبيعة» بأنها: أحد أهم الوسائل للحفاظ على البيئة، فهي ليست فقط مساحات مغلقة من الأراضي، بل هي مناطق مهمة للتنوع الحيوي في أي بلد^(٣).

وقد صنّف الاتحاد المناطق المحمية إلى ست مجموعات رئيسية، هي^(٤):

– المحمية الطبيعية البرية، وهي منطقة تدار لأغراض علمية أو حماية القفار.

(١) سلطنة عُمان، وزارة الإعلام، «السياحة في عُمان: المحميات الطبيعية»، < <http://www.omanet.om/arabic/tourism/tourism13.asp?cat=tour&subcat=toul> > .

(٢) «The IUCN Guidelines define a protected Area as: an Area of land /or sea especially dedicated to the protection and maintenance of biological diversity, and of natural and associated cultural resources, and managed through legal or other effective means».

انظر: The World Bank Operational Manual OP 4.04, Annex A, Operational Policies, «definitions» (June 2001), p. 1.

(٣) المملكة الأردنية، الجمعية الملكية لحماية البيئة، «المحميات الطبيعية»، < [http://www.rscn.org.jo/orgsite/RSCN/Helping Nature/Protected Areas/tabid/91/language/ar-JO/Default.aspx](http://www.rscn.org.jo/orgsite/RSCN/Helping%20Nature/Protected%20Areas/tabid/91/language/ar-JO/Default.aspx) > .

(٤) Draft Australian Handbook, «Application of IUCN Protected Area Management Categories», (٤) WCPA, Australia and New Zealand Region (March 2000), pp. 1-2.

- المتنزه الوطني، وهو منطقة محمية تدار بصورة رئيسية لأغراض حماية المنظومات الإيكولوجية.

- المعلم الطبيعي، وهو محمية تدار لأغراض الحماية من خلال إجراءات إدارية تدخلية.

- منطقة المناظر الطبيعية البرية، والبحرية، وهي محمية الغاية منها صون المناظر الطبيعية البرية والبحرية والترويج لها.

- منطقة الموارد المدارة، وهي محمية تدار لغرض الاستخدام المستدام للمنظومات الإيكولوجية الطبيعية.

- المنطقة الواحدة أو أكثر، الطبيعية و/أو الثقافية المحمية، نظراً إلى ما تتمتع به من قيمة فريدة ممثلة في الصفات الجمالية أو الثقافية البارزة والنادرة.

وبحسب التقييم البيئي لـ «البنك العالمي» لسنة ١٩٩٩، فإن المناطق المحمية هي تلك المساحات التي اعترفت بها المجتمعات السكانية المحلية التقليدية، كالحداثق، والمواقع التي تحافظ على منظومات حيوية لسلامة هذه المناطق المحمية^(٥). وتعرّف أيضاً بأنها تلك المواقع المحددة في قوائم إضافية يحددها «البنك الدولي»، أو مصدر ثقة تحدده وحدة قطاع البيئة في مكتب المنطقة المعينة، ويمكن أن تشمل هذه المواقع المساحات التي تعترف بها المجتمعات السكانية المحلية، كالحداثق، وأيضاً المساحات المعروفة بملاءمتها لصون التنوع البيولوجي، والمواقع ذات الأهمية للسلالات النادرة أو الضعيفة أو المهاجرة أو المهددة بالانقراض^(٦).

وعرّف القانون الجزائري «المنطقة المحمية» بأنها جزء من منطقة التوسع أو موقع سياحي غير قابل للبناء، ويستدعي حماية خاصة قصد المحافظة على مؤهلاته الطبيعية أو الأثرية أو الثقافية^(٧).

وهكذا تتفق التعاريف السابقة على اعتبار المحميات الطبيعية مساحات أرضية و/أو مائية، تتميز بالغنى الواضح بالتراث الطبيعي (التنوع الحيواني والنباتي والأحياء الدقيقة) أو الثقافي، تتعايش عناصره في ما بينها وفق نظام أو نظم بيئية معينة، قد يكون بعضها معرضاً للتدهور والزوال. وتخصّص هذه المناطق لحماية الأحياء التي تقطنها، بحيث تكون هذه

The World Bank Operational Manual OP 4. 01, Operational Policies, «Environmental (٥) Assessment» (January 1999), pp. 1-2.

(٦) نادرة أو ضعيفة أو مهددة بالانقراض بحسب ما يرد في القائمة الحمراء للنباتات أو الحيوانات المهددة بالانقراض الصادرة عن الاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة، أو القوائم الدولية أو الوطنية ذات المصادقية، التي تقبلها وحدات قطاع البيئة في مكاتب مناطق البنك الدولي. انظر: Adrian G. Davey, «National System Planning for Protected Areas», (IUCN, World Commission on Protected Areas, University College, Cardiff, 1998), p. 26, <http://www.uicnmed.org/web2007/CDMURCIA/pdf/frances/documentsessentiels/Nat_Sys_Planning.pdf> .

(٧) الجريدة الرسمية (الجزائر)، العدد ١١ (١٩ شباط/فبراير ٢٠٠٣)، ص ١٥.

الحماية هي المنظم للعلاقة بين النشاطات البشرية، والمواقع الحيوية، ولا سيما السكان القاطنين في المحمية أو حولها، الذين يستفيدون من مواردها المتعددة.

إن فكرة تطبيق المحميات جاءت لوضع حدٍّ للممارسات الخاطئة، والمحافظة على الموارد البيئية من سوء استغلال الإنسان لها، وإعادة توطين الأنواع المنقرضة أو المهددة بذلك، سواء من الحيوانات أو النباتات، أو العناصر الحضارية والثقافية للمجتمعات البشرية^(٨).

ومما سبق، يمكن إظهار أهم أهداف تطبيق هذه المحميات في النقاط التالية^(٩):

- الحفاظ على النظم البيئية التي ترتبط باستمرارية الحياة وبقاء الإنسان، وذلك من خلال حماية الأنواع النباتية والحيوانية الموجودة، وخاصة المهددة منها بالانقراض.
- دعم البحث العلمي في مجال الأحياء والنظم البيئية، بالإضافة إلى صون وحفظ المصادر الوراثية النباتية والحيوانية المتوطنة.
- الاستخدام المستدام للموارد الحيوية والنظم البيئية الطبيعية.
- الاستثمار السياحي البيئي للمحمية بالشكل الذي لا يؤثر سلباً في مكوناتها الحيوية.
- التربية البيئية وزيادة الوعي الاجتماعي بأهمية الأحياء.

ثانياً: المحميات الطبيعية في المؤتمرات الدولية

تمثل المحميات الطبيعية مراكز مهمة لجذب السياحة البيئية الدولية والمحلية، نظراً إلى حمايتها للبيئة الطبيعية الفطرية في تلك المناطق التي ينشدها السياح، ولا سيما التي لم تغرّ ملامحها أنشطة الإنسان. وإدراكاً للدور الذي تؤديه هذه المحميات، سواء بالنسبة إلى السياح، أو لكونها احتياطياً استراتيجياً لكنوز الموارد الطبيعية، وبنوكاً للجينات الوراثية لصناعة المستقبل، أصبحت تحظى باهتمام محبي البيئة والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية.

وانطلاقاً من هذه الأهمية، اتجه العديد من الدول على مستوى العالم إلى توفير الكوادر البشرية المتميزة، لإدارة المحميات والإشراف عليها. كما يعتبر تفاعل «البدو» مع نشاطات الحماية عنصراً جوهرياً في صون الحياة البرية بمشاركتهم المعتمدة على خبرات أصلية في الحياة، وتراثاً من المعلومات تتناقلها الأجيال المتعاقبة. وعليه، فإن الاهتمام بالمجتمعات الأصلية، وانضمام أفرادها إلى نظم الإدارة لهذه المحميات، سواء كباحثين، أو مراقبين، أو

(٨) «الهيئة العامة للبيئة أنجزت مشروعها: قانون المحميات لوقف تدهور المكونات الطبيعية»، الطليعة

(الكويت) (٧ تموز/يوليو ١٩٩٩)، ص ٤.

(٩) الجمهورية العربية السورية، وزارة الدولة لشؤون البيئة، «المحميات الطبيعية: أنواعها - أهدافها -

اشتراطاتها»، دمشق، (٧ تموز/يوليو ٢٠٠٣)، ص ٣.

حراس للبيئة، أو كمقدمين لمختلف الخدمات، سيؤدي إلى إسهامهم في أنشطة السياحة البيئية، إضافة إلى اعتبارها مصدر رزق لهذه الفئات، ورفع مستواها المعيشي، وتشجيع الصناعات التقليدية المحلية في هذه المناطق^(١٠).

وعلى هذا الأساس، تقوم «الهيئة الدولية للمحميات الطبيعية» (World Commission on Protected Areas of IUCN (WCPA) التابعة للاتحاد العالمي لصون الطبيعة (IUCN) بتنظيم

**يعتبر تفاعل "البدو" مع نشاطات
الحماية عنصراً جوهرياً في صون
الحياة البرية بمشاركتهم المعتمدة
على خبرات أصلية في الحياة،
وتراثاً من المعلومات.**

مؤتمر كل عشر سنوات على مستوى العالم، وهو يعد حدثاً دولياً مهماً في مجال صون البيئة في العالم. كما يمثل فرصة سانحة لكافة القطاعات لتبادل الخبرات والتخطيط برؤى ثاقبة من قبل المعنيين بهذا المجال لمناقشة بعض القضايا المرتبطة بالمحميات الطبيعية، ومصدراً لتمويل البرامج البحثية والتعليمية في المحميات الطبيعية. ويأتي

اختيار شعار «منافع بلا حدود» استجابة للمطلب القائم المتمثل باستعراض الصلة الوثيقة بين المحميات الطبيعية والمتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في القرن الحادي والعشرين، بإعطاء أكبر قدر من المرونة للبحث في المواضيع ذات الصلة.

وقد عقد أول هذه المؤتمرات في مدينة سياتل (Seattle) في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من ٣٠ حزيران/يونيو إلى ٧ تموز/يوليو ١٩٦٢، وكان الغرض من هذا المؤتمر إنشاء إدارة أكثر فعالية لـ «الحدايق الوطنية»، وتشجيع إقامة هذه المحميات، وزيادة تطويرها على النسق العالمي^(١١). وتمت فيه مناقشة العديد من القضايا المرتبطة بالمحميات، وشملت الجوانب التالية^(١٢):

- آثار البشرية في الحياة البرية.
- انقراض بعض الأنواع الحيوانية والنباتية.
- الأهمية الجمالية والبيئية لبعض الحدايق العامة والحياة البرية.
- الفوائد الاقتصادية للسياحة.

(١٠) محمد إبراهيم محمد إبراهيم، «السياحة البيئية»، المنتدى البيئي (وزارة الدولة لشؤون البيئة، القاهرة) (حزيران/يونيو ٢٠٠٦)، ص ٥.

(١١) عقد هذا المؤتمر في مدينة «سياتل» (الولايات المتحدة الأمريكية) في الفترة من ٣٠ حزيران/يونيو إلى ٧ تموز/يوليو ١٩٦٢، وبينَ بأن هناك حوالى ١٠٠٠ منطقة محمية في العالم، وهي تغطي ٣ بالمئة من المساحة اليابسة للكرة الأرضية. انظر: United States, Department of the Interior, «National Parks», paper presented at: Proceeding, Washington, DC, Government Printing Office, 1962, pp. 433- 435.

Previous World Parks Congresses, <http://www.deat.gov.za/Documents/2003Aug27/previous (١٢)

– دور الحدائق الوطنية في الدراسات العلمية والعملية.

وكان المؤتمر الثاني حول «الحدائق الوطنية سنة ١٩٧٢ في مدينة يلوستون (Yellowstone) (الولايات المتحدة الأمريكية)^(١٣)، وركز المؤتمر على النقاط التالية^(١٤):

– تأثير السياحة في المناطق المحمية.

– المشاكل البيئية والاجتماعية والعلمية داخل المحميات الوطنية، ولا سيما في المناطق المدارية الرطبة، وفي الأراضي القاحلة والجبلية.

– كيفية صنع القرارات الإدارية لصون هذه المحميات.

– ضرورة تنمية الوعي البيئي، وتحسين فرص التدريب المتاحة لتوسيع مجال الفوائد المرجوة منها، وتقديم الدعم المحلي الدولي إلى هذه المحميات.

وانعقد المؤتمر العالمي الثالث في مدينة بالي (Bali) (إندونيسيا) في الفترة من ١١ إلى ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢، وركز على دور هذه المحميات في «التنمية المستدامة»، وعلى المنافع الاقتصادية التي يمكن تحقيقها، والحث على تبادل المعلومات في هذا المجال بين القائمين على شؤون المحميات في مختلف دول العالم، وتطوير استخدام شبكة الاتحاد العالمي لصون الطبيعة. وقد اتضح من هذا المؤتمر حاجة العالم إلى المزيد من المناطق المحمية البحرية والساحلية، وإلى نظام تقييم الأداء داخل هذه المحميات^(١٥).

وعرف مؤتمر «كراكاس» (Caracas) (فنزويلا) حول الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية بـ «الحدائق من أجل الحياة». وقد عقد في الفترة من ١٠ إلى ٢١ شباط/فبراير ١٩٩٢، ودعا إلى توطيد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمعات، مع سبل إدارة المحميات الطبيعية، والعمل على تحقيق الترابط الإقليمي بين المحميات في المناطق المتجاورة، وتحفيز الاستثمار في المناطق المحمية لتحقيق مكاسب مادية على إدارتها، ووعي عام على المستوى العالمي، ودائم، لصون الطبيعة ومواردها^(١٦).

(١٣) كان مؤتمر «يلوستون» خلال الفترة من ١٨ إلى ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٢، حيث تزامن هذا الحدث مع الذكرى المئوية للمتنزه الوطني في هذه المدينة، بصفته أقدم حديقة وطنية على مستوى العالم. وتم فيه إحصاء ما يزيد على ١٢٠٠ من المتنزهات الوطنية، أو ما يعادلها من الاحتياطات التي خصّصت من قبل الدول لهذا الغرض. انظر: Adrian Phillips, «Turning Ideas on their Head: The New Paradigm for Protected Areas», < <http://www.uum.edu/conservationlectures/vermont.pdf> >.

(١٤) Paul W. Richards, «National Parks in Wet Tropical Areas», paper presented at: International Union for Conservation of Nature and Natural Resources Second World Conference Proceedings, 1972, pp. 219-222.

(١٥) عُقد المؤتمر العالمي الثالث في مدينة «بالي»، في الفترة من ١١ إلى ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢. انظر: World Conferences Collection, «National Park Service, History Collection RG7», Preliminary Inventory, < http://www.nps.gov/hfe/products/library/world_conf.htm >.

(١٦) عرف مؤتمر «كراكاس» حول الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية بـ «الحدائق من أجل الحياة»، وقد =

وقبل انعقاد مؤتمر الهيئة الدولية للمحميات الطبيعية، دعا المؤتمر الدولي في شرم الشيخ (مصر) حول «المحميات الطبيعية والتنمية المستدامة» في الفترة من ٢٣ إلى ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢ إلى تفعيل دور المحميات، وصون التنوع البيولوجي في «التنمية المستدامة»، وحماية الثروات الطبيعية المهددة بالانقراض، وتنمية السياحة البيئية، وتشجيع السياحة الهادفة. بالإضافة إلى ذلك، تمت دراسة العلاقة بين المحميات الطبيعية والتعليم والسياحة، وتنمية المجتمعات المحلية والإعلام البيئي^(١٧). وفي مؤتمر «عمّان» (الأردن) الدولي، أثّرت مناقشة دور هذه المحميات والتنوع الإحيائي في تنمية السياحة البيئية، وعلاقتها بالتراث والثقافة، وأيضاً دور الاتصالات والنقل البرّي والبحري والجوي في تنشيط هذه السياحة، إلى جانب تناول دور القطاع الخاص في تنشيط مجالاتها^(١٨).

وتم في الفترة من ٨ إلى ١٧ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣ انعقاد مؤتمر «ديربان» (Durban) (جنوب أفريقيا)، ويعتبر أكبر تجمع من نوعه حتى هذا التاريخ. وتمحورت أهداف هذا المؤتمر في بناء قدرات الممارسين في إدارة المناطق المحمية، وتحديد تمويل مستدام لهذه المحميات في المنطقة (جنوب أفريقيا)، وتم أيضاً اقتراح خطة عمل كل ثلاث سنوات بين أعضاء الاتحاد العالمي لصون الطبيعة (WCPA) على الصعيدين الإقليمي والوطني^(١٩).

وقد ظهرت «شبكة عالمية للمحميات الجيولوجية» في المؤتمر الدولي للمحميات الطبيعية من ٢٧ إلى ٢٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٤ في بكين (الصين)، تحت رعاية اليونسكو، ووزارة الأرض والموارد الطبيعية لجمهورية الصين. وكان هذا المؤتمر يهدف إلى الترويج لتطوير «شبكة عالمية للمحميات الجيولوجية»، التي تمثل نماذج نادرة من التراث الجيولوجي لكوكب الأرض، وأيضاً معالجة المشاكل الناتجة من العلاقة بين الحفاظ على هذه المحميات واستخدامها الرشيد، ودورها في التنمية المستدامة للاقتصاد الإقليمي. وقد سبق هذا المؤتمر اجتماع باريس للغرض نفسه لمساندة اليونسكو في ١٣ شباط/فبراير ٢٠٠٤، إذ

= عقد في الفترة من ١٠ إلى ٢١ شباط/فبراير ١٩٩٢. انظر: UNESCO culture, «La Convention du patrimoine mondial et le congrès mondial sur les parcs: Une Relation naturelle», < http://portal.unesco.org/culture/fr/ev.php-UPL_ID=13310 > .

(١٧) «المحميات الطبيعية والتنمية المستدامة»، المؤتمر المصري الدولي، شرم الشيخ، ٢٣-٢٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢، ص ١.

(١٨) «السياحة البيئية»، مؤتمر عمّان الدولي، عمّان، ٢٦-٢٨ شباط/فبراير ٢٠٠٦، < <http://www.alwatan.com/grapjics/2006/02/feb/22.2/daily.html/local.html> > .

(١٩) عقد مؤتمر «ديربان» في الفترة من ٨ إلى ١٧ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣، ويعتبر أكبر تجمع من نوعه حتى هذا التاريخ، وتم فيه تقدير المناطق المحمية ليصل عددها إلى أكثر من ١١٣٠٠٠ موقع، وتغطي ١٣,٢ بالمئة من مساحة اليابسة للكرة الأرضية، أي بزيادة ١١٢٠٠٠ محمية منذ المؤتمر الأول في مدينة «سياتل». انظر: International Institute for Sustainable Development, «Sustainable Developments», IUCN World Parks Congress, Durban, South Africa, 8-17 September 2003, < http://www.iisd.ca/sd/world_parks_v/sdvol89numle.html > .

تعتبر هذه الشبكة قاعدة للتعاون والتبادل بين الخبراء والعاملين في مجال التراث الجيولوجي. وتم الإقرار بأول ٢٥ محمية جيولوجية في هذه الشبكة (١٧) في أوروبا والباقي في الصين^(٢٠).

ودعت ندوة «السياحة في مواجهة تحديّ تغيّر المناخ» التي عُقدت في صنعاء (اليمن) في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٨ إلى إنشاء محميات طبيعية ومنتزهات، بالتعاون مع الجهات المعنية، وتطبيق أحكام قانون البيئة، والإجراءات الضرورية لحمايتها. كما طالب المشاركون بضرورة إدخال التربية البيئية وحماية الطبيعة في مناهج التعليم كافة المراحل الدراسية، والمساهمة في تحقيق السياحة المستدامة، والاستفادة من هذه المحميات للتوعية والتعليم والبحث العلمي، والحدّ من التلوّث، بما يساعد على التخفيف من آثار الغازات الدفيئة^(٢١).

وهكذا تسعى هذه المؤتمرات بمختلف أشكالها وأهدافها إلى صون التراث الطبيعي والثقافي للمجتمعات، وحماية البيئة من خلال إقامة المناطق المحمية وتوسيع مجالاتها، وربطها بالتعليم والسياحة لتنمية السياحة البيئية وتحقيق استدامتها.

ثالثاً: تجارب على السياحة المستدامة في بعض الدول

١ - التجربة الأردنية في السياحة البيئية

تعتبر التجربة الأردنية الأولى من نوعها في مجال السياحة المستدامة في «محمية ضانا»، التي أنشئت عام ١٩٩٣ جنوب الأردن بعد أن أصبحت مهددة بالتصحّر. وتتضمن هذه المحمية منطقتين للحياة البرية، وأربع مناطق للنباتات؛ تضم الأولى ٣٨ نوعاً من مختلف الحيوانات، إضافة إلى ما يقارب ١٩٧ نوعاً من الطيور. أما المناطق النباتية فهي تضم نحو ٧٠٠ نوع. وتمحورت هذه التجربة حول تحقيق بعض الأهداف، كإدارة الموقع بصورة مستدامة، وتحديد النوعية المستهدفة من الزوار، وإشراك المجتمع المحلي في تنفيذ هذه الخطة^(٢٢).

وقد توصلت خطة التطوير السياحي المستدام لـ «محمية ضانا» إلى تأسيس جمعية لإدارة المشروع، ودراسة الإمكانية الاقتصادية لنجاحه، والفوائد الاقتصادية التي يمكن أن

(٢٠) ظهرت شبكة عالمية لـ «المحميات الجيولوجية» في المؤتمر الدولي لـ «المحميات الطبيعية» من ٢٧ إلى ٢٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٤ في «بيكين» تحت رعاية «اليونسكو» ووزارة الأرض والموارد الطبيعية لجمهورية الصين. انظر: «ولادة شبكة عالمية للمحميات الجيولوجية» بمساندة اليونسكو، يونسكو برس، مكتب الخدمات الصحفية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، باريس، ٢٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٤، ص ١.

(٢١) «ندوة سياحية تطالب بإنشاء محميات طبيعية»، سبأ نت، صنعاء- اليمن (٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٨)، < <http://www.sabanews.net/ar/news169664.htm> > .

(٢٢) «السياحة البيئية في المحميات الطبيعية في الأردن - محمية ضانا الطبيعية»، حالات دراسية في التنمية المستدامة من مركز المعرفة، < http://www.ckc-undp.org.jo/docs/arabicbp/ecotourism_rscn.doc > .

يوفرها المشروع للموقع ولل سكان المحليين، وأيضاً أساليب وطرق تسويق الموقع سياحياً، داخلياً وخارجياً، وتحديد كيفية جذب الزوار ودخولهم إلى الموقع، ومنع دخول وسائل النقل إلى داخل المحمية بكل أنواعها ببناء مواقف خاصة للسيارات والحافلات تتناسب مع طبيعة الموقع وعدد الزوار. وتم تحديد أنواع النشاطات التي يمكن للزوار القيام بها، وأيضاً السعة الاستيعابية لكل من المخيمات وممرات المشاة من أعداد الزوار، وتطبيق ذلك بشكل صارم. كما تم تحديد خطة لمراقبة تأثير السياحة في طبيعة الموقع، إضافة إلى تحقيق الأهداف المحددة في الخطة، إذ تم توظيف عدد من السكان المحليين، وتدريبهم على تقديم مختلف الخدمات السياحية، مثل الإرشاد السياحي، والإدارة، والاستقبال، وخدمة الأكل والشرب، وبالتالي اكتسبوا خبرة وثقافة سياحية وبيئية من خلال التدريب المتواصل، الذي تقوم به الجمعية لتأهيلهم علمياً وعملياً، ومن خلال اتصالهم بالزوار من مختلف أنحاء العالم^(٢٣).

٢ - تجربة واحة سيوة للتنمية المستدامة في مصر

تقع واحة سيوة في قلب الصحراء الغربية لمصر، وتتميز بجانب ثقافي وتراثي وبيئي مهم. وكان مشروع هذه الواحة للتنمية المستدامة بمبادرة من مجموعة من الأشخاص المهتمين بالمحافظة على البيئة. وتشمل واحة سيوة أكثر من ٢٥٠٠ مسكن لقدماء المصريين بنيت من الصخور الملحية^(٢٤).

خمس تجارب عربية، في مجال
السياحة المستدامة، عبر
إقامة المناطق المحمية:
(١) محمية ضانا في الأردن؛
(٢) واحة سيوة في قلب
الصحراء الغربية لمصر؛
(٣) محمية أرز الشوف في
لبنان؛ (٤) محمية تاكشميرت
في محافظة أفران في المغرب؛
(٥) محمية أشكل في تونس.

يعتبر مشروع سيوة من أفضل المشاريع الاقتصادية المستدامة التي تعود بمنافع اقتصادية واجتماعية على المنطقة وسكانها، لكون سكان الواحة يستفيدون من فرص العمل، مع المحافظة على الإرث الثقافي والطبيعي للمنطقة. وقد ساهم المشروع في تطوير الكثير من الصناعات الحرفية والتقليدية لسكان الواحة، وبالتالي فإن الأثر السلبي الاجتماعي الذي حققه المشروع كان ضئيلاً، مما شجع الحكومة على تطبيق أنموذج «سيوة» على

العديد من المناطق السياحية. كما مكن مشروع «سيوة» من إعادة الاهتمام بالتراث المعماري القديم للمنظمة من خلال بناء مساكن للسكان المحليين باستخدام الأدوات والمواد الأولية المحلية، حفاظاً على حضارة أهل سيوة القدامى وتعريفها للعالم الخارجي. وهكذا يعتبر مشروع واحة

(٢٣) «ضانا: جوهرة الطبيعة في الأردن»، <http://batirw.arabblogs.com/arabic/archive/2006/7/73519.html> .

(٢٤) وزارة الدولة لشؤون البيئة، جهاز شؤون البيئة، «المحميات الطبيعية: محمية سيوة الطبيعية بمحافظة

<http://www.ecaa.gov.eg/arabic/main/Protect_desc.asp> .

مطروح»

سيوة نموذجاً مهماً للسياحة المستدامة، إذ اعتمد على تطوير الإمكانيات المحلية في المحافظة على حضارة المنطقة وبيئتها المحلية والاجتماعية^(٢٥).

٣ - تجربة محمية أرز الشوف في لبنان

تمتدّ محمية الشوف الطبيعية من شهر «البيدر» شمالاً، إلى جبل «نيحا» جنوباً، تغطيها أشجار السنديان، وهي تجذب السياح للتمتع بمناظرها الجميلة وبغابات الأرز، التي تشهد عملية تجدد طبيعية تشكّل نسبة ٥ بالمئة تقريباً من مساحة المحمية. وقد غدت هذه المحمية موقعاً استراتيجياً نتيجة لزيادة درجة الأمان فيها للمحافظة على الحيوانات الثديية، كالذئاب، والضباع، والغزلان الجبلية. كما أصبحت هذه المحمية مستقراً للطيور المهاجرة، مما يزيدها جمالاً أمام المهتمين من السياح بمراقبة الطيور، إضافة إلى توفرها على العديد من النباتات الطبيعية والفطرية، وعلى بعض المواقع الأثرية، مثل «حصن نيحا»^(٢٦).

وأصبحت المحمية موقعاً سياحياً مهماً يؤمه الكثير من السياح الذين يهتمهم الاطلاع على معالم هذه المنطقة. ويعتبر نموذج محمية «أرز الشوف» مثلاً ناجحاً للسياحة المستدامة الهادفة، التي تحرص على حماية الإرث الطبيعي والتاريخي والحيوي والبيئي، وإعطاء السكان المحليين فرصاً للاستفادة من السياح الذين يفدون إلى المنطقة، من خلال المداخل التي يجنونها لقاء مرافقة الأفواج السياحية كمرشدين، أو من خلال البيع في المطاعم أو في المحلات التجارية للأطعمة المحلية ومنتجات الصناعة التقليدية التي تتميز بها المنطقة^(٢٧).

٤ - محمية «تاكشميرت» في محافظة «أفران» في المغرب

استطاع المغرب أن يخوض تجربة المحميات الطبيعية في سبيل تحقيق تنمية شاملة للمجتمع تؤدي إلى تنمية السياحة، التي تساهم في تحقيق نتائج ملموسة في الاقتصاد، ولدى كافة أفراد المجتمع في هذا البلد بطريق مباشر أو غير مباشر، حاضراً ومستقبلاً. وفي إطار الحفاظ على ثرواته الطبيعية والحضارية من تدعيم سياحته بكل أشكالها وتطويرها، قام المغرب بإنشاء محميات طبيعية وثقافية في مختلف مناطق البلاد.

تعتبر محمية «تاكشميرت» (Takchmirte) مؤسسة سياحية موجودة بالقرب من غابة في الناحية الزراعية «آيت علي» أو «يعقوب أرزو»، مساحتها ٢٠٠٠ متر مربع، توجد وسط ٥

(٢٥) جامعة الدول العربية، الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، «محمية سيوة في

مصر»، < <http://www.unep.org.bh/publications/tourGuide1.doc> >.

(٢٦) يوجد في هذه المحمية معبد فينيقي للإله «حدارانيس» وبقرية معبد صغير لإله المياه، وعند المدخل بنحو

٣٠٠ متر تظهر قلعة نجا الأثرية وحصنها الجميل، وهي آثار رومانية ما زالت تحافظ على رونقها وجمالها. انظر:

«محمية أرز الشوف»، لبنان، < <http://www.al-hakawati.net/arabic/Civilizations/lebanonbeqaa4.asp> >.

(٢٧) جامعة الدول العربية، الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، «محمية أرز الشوف في

لبنان»، < <http://www.unep.org.bh/publications/tourGuide1.doc> >.

هكتارات مغروسة بالأشجار في منطقة تمتاز بغابات كثيفة مغطاة بشجر البلوط والأرز. وقد تم فتح هذه المحمية في شهر آب/أغسطس ٢٠٠٠، وتمثل ملتقى لمحبي السياحة والبيئة. وقد انطلق العمل في هذا المشروع في بدايته بإمكانيات المالك فقط بعد حصوله على موافقة الهيئة المعنية^(٢٨).

تساهم هذه المحمية مادياً في حدود إمكانياتها في حماية الطبيعة بالتعاون مع جمعية محميات «أفران»، وبالتوازي مع جمعية مرشدي غابات الريف. كما تدعم هذه المؤسسة منظمات حماية البيئة، ومؤسسات الأطلس المتوسط والمؤسسات الريفية لمرشدي جبال «أفران»، وتقوم أيضاً ببرمجة رحلات في الوسط الريفي وفي الجبال لتوعية السكان، وتنظم رحلات لفائدة السياح المحليين والأجانب على السواء^(٢٩).

تقوم هذه المؤسسة السياحية بتكليف سكان الوسط الريفي ببعض الأعمال بالدرجة الأولى، من خلال استخدام بعض حيواناتهم في التنقل والنقل وأداء بعض الخدمات، وكذلك شراء منتجاتهم، وتوظيفهم في أعمال تتصل بالمحافظة على نظافة الطبيعة وخدمات أخرى. كما تسعى المحمية إلى الاتصال بالمصالح المكلفة بالسياحة في «أفران» وبالسواح من أجل الترويج والتسويق للمنتجات المحلية^(٣٠).

٥ - «مركز الإعلام وغرفة الضيوف» مشروع لـ «جمعية غاروتكسا السياحية» في متنزه «غاروتكسا» في منطقة «جيرونا» في محافظة «كتالونيا» الإسبانية (Gerone, Catalogne, Espagne)

يتألف متنزه «غاروتكسا» (Garrotxa) من فضاء طبيعي محمي يضم ٢٦ محمية طبيعية و ٤٠ بركناً خامداً. وتعتبر هذه المنطقة البركانية من أهم المناطق المحافظ عليها في إسبانيا. والهدف من مشروع الجمعية المكلفة بإدارة هذا المرفق السياحي هو إحداث مصالحة بين متطلبات حماية البيئة والتنمية الاقتصادية للمنطقة^(٣١).

تضم «جمعية غاروتكسا السياحية» (Turisme Garrotxa) مجموعة من المؤسسات والأجهزة المرتبطة بالسياحة في منطقة «غاروتكسا»، وفي إطار هذه المبادرة اتخذت مجموعة من التدابير، مثل توفير متطلبات الترفيه، والتسويق، وتقديم النصائح، والتكوين، والإعلام، والتخطيط لكل المؤسسات السياحية المشتركة. ومن الأمثلة التطبيقية لأنشطة هذه الجمعية توفيرها للبيت الكتالوني الريفي «Mas Gargantua» التقليدي، الذي يرجع تاريخه إلى القرن

Développement durable de l'écotourisme: Recueil de bonnes pratiques dans les PME (Madrid: (٢٨) Organisation mondiale du tourisme (OMT), 2003), p. 213.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٣٠) «Gîte Takchmirt» < http://www.cefir.fr/Cheminsdetraverse/PDFcefir/FICHE_GITE_TAKCHMIRTE.pdf > .

(٣١) «Turisme Garrotxa» < <http://www.agtat.es> > .

السادس عشر الميلادي، داخل المتنزه الطبيعي للمنطقة البركانية «غروتكسا». وهي بذلك توفر الإيواء لزوار المنطقة، وتقدم خدمات الترميم والحراسة، وتصلح الأثاث، وتدير فضاءً لبيع التحف القديمة. ويعتبر مشروع «Mas Gargantua» مثالاً للإيواء للسياحي الريفي والإعلامي تحت إدارة المالكين. وهكذا تم إيجاد أشكال جديدة لأنشطة اقتصادية في الوسط الريفي^(٣٢).

أخذت «جمعية غاروتكسا السياحية» على عاتقها مسؤولية تطبيق «الميثاق الأوروبي» للسياحة المستدامة (هذا الميثاق مسجل في إطار الأولويات العالمية والأوروبية المتخذة في توصيات الأجندة ٢١) الذي تمت الموافقة عليه في قمة الأرض في «ريو دي جانيرو». وقد التزم أعضاء هذه الجمعية بتنظيم دروس توعية وتقديم شرح عن الإقليم في البيت الريفي «Mas Gargantua»، إضافة إلى مساهمة أعضاء الجمعية في تنظيم زيارات حضرية ورحلات موجهة للزوار بهدف توعيتهم بحماية البيئة الطبيعية. كما قامت هذه الجمعية في عام ١٩٩٨، ضمن برنامج «ADAPT»، وبمبادرة جمعية أوروبية تهدف إلى مساعدة العمال على التأقلم مع التغييرات الصناعية، وتحسين سوق العمل، بتحفيز وتنمية الوظيفة. وقد احتدم التنافس بين مؤسسات «الاتحاد الأوروبي» على تحديد منطقة «غاروتكسا» لإقامة برامج توعية متكاملة تهدف إلى تدعيم نموذج السياحة المستدامة في القطاع السياحي، والمباشرة في إعداد مخطّط لتكييف هذا القطاع استعداداً لمواجهة التأثيرات التكنولوجية الجديدة. وتضمّنت مقرّرات «Mas Gargantua» الترويج باستخدام العديد من الطرق، منها بعض المواقع (Webs) كموقع <http://www.agtat.es>، وإصدار نشرة بيانية شاملة لخريطة المنطقة، وكتيّبات خدماتية، ونشرة موجهة إلى الشركاء، والمشاركة المباشرة في العديد من المنتديات الوطنية للسياحة، والمشاركة غير المباشرة في المنتديات العالمية عن طريق Patronato de turisme^(٣٣).

٦ - الحظائر والمحميات في شمال الجزائر

أقيمت في شمال الجزائر ثمانى حظائر وطنية، لحماية التنوع البيئي هناك، ورسم صورة أكثر وضوحاً لما تزخر به هذه الحظائر من كنوز طبيعية وحيوانية ومواقع أثرية. من هذه الحظائر: «حظيرة ثنية الأحد» في تيسمسيلت، وتوجد في الغرب الجزائري. يعود تاريخ تأسيس هذه الحظيرة إلى سنة ١٩٢٣، وتتربع على مساحة قدرها ٣٤٢٤ هكتاراً، تكسوها أشجار الأرز بنسبة ٨٧ بالمئة من إجمالي مساحتها، ويتوفر فيها ٤٥٠ صنفاً نباتياً، و٢٨٩ نوعاً حيوانياً، منها: الشيهم، والظربان، والقط البري، والهدهد، والعقاب الملكي^(٣٤).

وتعتبر هذه الحظيرة أول محمية، فضلاً عن كونها المنطقة الأرزية الوحيدة في الغرب

(٣٢) Développement durable de l'écotourisme: Recueil de bonnes pratiques dans les PME, pp. 123- 126.

(٣٣) «Turisme Garrotxa», <http://mediambient.gencat.net/cat/elmedi/parcs decatalunya/garrotxa> .

(٣٤) «الحظائر والمحميات بشمال الجزائر»، شبكة البحث حول العلم والدين في الإسلام، <http://science-islam.net/breve.php3?id_breve=501> .

الجزائري، كما تمثل الحدّ الجنوبي للمناخ المتوسطي. وهي الوحيدة في حوض المتوسط التي تنمو فيها أشجار الفلين على ارتفاع ١٦٠٠ متر، وتحوي موقعاً أثرياً يعود تاريخه إلى ٨ آلاف سنة مضت.

وثمة «حظيرة جرجرة» في البويرة، على بعد ١٢٠ كلم شرق الجزائر العاصمة، تقدر مساحتها بـ ١٨٥٥٠ هكتاراً، وتحتوي أعلى قمة يبلغ ارتفاعها ٢٣٠٨ أمتار، وهي قمة «لالا خديجة». وتضم هذه الحظيرة ١١٠٠ نوع نباتي، و١٥٥ نوعاً حيوانياً، وتعدّ أغنى المحميات بالطيور الجارحة، إلى جانب بعض الحيوانات النادرة، كقردة «المانقو»، إضافة إلى قدم أشجارها الأرزية الأطلسية.

وهناك «حظيرة القالة» في الطارف، وتبعد ٦٠٠ كلم شرقاً عن الجزائر العاصمة، وهي تعتبر أوسع حظيرة في شمال الجزائر بمساحة تقدر بـ ٧٦٤٣٨ هكتاراً، وتحتوي جبل «الغرة»، وأعلى قمة فيه ارتفاعها ١٢٠٢ متر. يتوفر في هذه الحظيرة ٩٦٤ نوعاً نباتياً، و٦١٧ نوعاً حيوانياً، وحوالي ٦٠ ألف رأس من البيط. وتصنّف هذه المحمية ضمن المناطق الرطبة التي تهاجر إليها الطيور، كما تتميز باختلاف مناظرها؛ فهي بحرية، وهضبية، وصحراوية، وجبلية^(٣٥).

تتعدد الحظائر والمحميات في الجزائر الحافلة بالكنوز الطبيعية والحيوانية والمواقع الأثرية، وأبرزها: ثنية الأحد وجرجرة، والقالة، وبلزمة، وتازا، وقوراية، والشريعة، وتلمسان.

وتوجد على مسافة ٤٠٠ كلم شرق الجزائر العاصمة «حظيرة بلزمة» في باتنة، وهي ترتفع على مساحة قدرها ٢٦٠٠٠ هكتار. ترتفع جبالها على سطح البحر بـ ٢١٧٨ متراً، ويتوفر فيها ٤٤٧ نوعاً نباتياً، و٣٠٩ أنواع حيوانية، منها ٥٩ نوعاً محمياً. وهي تعدّ المكان الوحيد الذي تنمو فيه أشجار الأرز في المناطق الصخرية، ويقدر عمر بعض هذه الأشجار بحوالي ٣٠٠ سنة. كما يوجد في الحظيرة ٤ أشجار من نوع أرز الهيمالايا، وهي تغطي ١٢ بالمئة من مساحتها الإجمالية.

أما «حظيرة تازا» في جيجل، فهي تتوفر على أكبر نسبة تشجير في الجزائر، ولها واجهة بحرية تمتد على مسافة ٩ كلم، وتحتوي على أنواع نباتية وحيوانية كثيرة، وتسمّى أعلى قمة فيها بـ «الكرن»، ويبلغ علوها ١١٢٠ متراً^(٣٦).

وتترجع «حظيرة قوراية» في بجاية، على مساحة قدرها ٢٠٨٠ هكتاراً، وتشمل بحيرة تسمّى «مزاية»، وحصناً يصل ارتفاعه إلى ٦٧٢ متراً. وهناك «حظيرة الشريعة» في البليدة التي

(٣٥) الهيئة العامة للاستثمار، المؤسسة الاقتصادية اليمنية، «الجزائر»، منار اليمن، ٢٠٠٧/١٢/٣١،

< <http://www.manaralyemen.com/news-2025.html> > .

(٣٦) «أول أطلس بيئي حول الحظائر والمحميات بشمال الجزائر»، شبكة البحث حول العلم والدين في

< http://science-islam.net/breve.php3?id_breve=501 > .

تبلغ مساحتها ٢٦٥٨٧ هكتاراً؛ تحتوي ٧٥ نوعاً نباتياً، و ٢٢٠ نوعاً حيوانياً، وتمثل «قمة سيدي عبد القادر» أعلى قمة فيها بارتفاع قدره ١٦٢٧ متراً.

وعلى بعد ٥٠٠ كلم شرق الجزائر العاصمة توجد «حظيرة تلمسان»، التي تتربع على مساحة تقدّر بـ ٨٢٢٥ هكتاراً، وتضم ٨٥٠ نوعاً نباتياً، و ١٧٤ نوعاً حيوانياً، بالإضافة إلى المناطق الأثرية، كالمنصورة وسيدي بومدين^(٣٧).

٧ - محمية أشكل في تونس

أقدمت تونس، من منطلق الحرص على تراثها الإيكولوجي، على انتهاج سياسة تنموية لحماية منظوماتها البيئية وتنوعها البيولوجي، وأقامت في هذا الإطار ثمانى مساحات طبيعية اعتبرت كمناطق ذات أولوية، وصنّفت ضمن الحقائق الوطنية المحمية.

تمثل «الحديقة الوطنية في أشكل» إحدى المحميات الطبيعية في تونس، وقد تأسست هذه الحديقة سنة ١٩٨٠ في ولاية «بنزرت» على بعد ٧٠ كلم شمال شرقي تونس العاصمة. تبلغ مساحتها ١٢٦٠٠ هكتار، تتوزع بين البحيرة (٨٥٠٠ هكتار)، والجبل الذي يبلغ علوه ٥١١ متراً (١٣٦٠ هكتاراً)، والسبخ (٢٧٤٠ هكتاراً). وقد تم ترسيم المحمية بقائمة «محميات الكائنات الحية ومحيطها»، وبالتالي فهي توجد على قائمة التراث الدولي الطبيعي والثقافي لـ «اليونسكو» منذ عام ١٩٩١^(٣٨).

تمتاز «بحيرة أشكل» بفوارق مستوى الماء والملوحة فيها، ففي الشتاء تصب ستة أودية بمياهها متسببة في ارتفاع مستوى الماء فيها، فيصبح ماؤها عذبا، في حين ينخفض مستوى مياهها في فصل الصيف تحت تأثير التبخر، فيدخل ماء البحر عبر «وادي تينجة»، وترتفع بذلك ملوحة البحيرة إلى درجة تفوق ملوحة البحر. والأودية التي تصب فيها هي «وادي دويميس»، و«وادي سجنان»، و«وادي المالح»، و«وادي غزالة»، و«وادي جومين» و«وادي التين». وترتبط «بحيرة أشكل» بـ «بحيرة بنزرت» عن طريق قناة «وادي تينجة» لتأمين حاجيات البلاد من المياه. وهناك دراسات قائمة لصيانة البحيرة، تهدف إلى توزيع محكم وعادل للمياه على مختلف المستهلكين^(٣٩).

وتزخر «المحمية الوطنية في أشكل» بعدد كبير من الأنواع المحمية من ثدييات وطيور ونباتات، وتعتبر من أهم المواقع المتوسطة التي تقصدها الطيور شتاء، حيث تحوي ١٨٠ فصيلة من الطيور، علاوة على ٢٠ نوعاً من الثدييات. كما يتباهى «جبل أشكل» في فصل الربيع بعرض العديد من أنواع الزهور والنباتات بدءاً بـ «أشجار الخروب» ومروراً بـ «زهور

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) «محمية أشكل في تونس»، الموسوعة العلمية الحرة (ويكيبيديا)، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%A9_%D8%A5%D8%B4%D9%83%D9%84 > .

(٣٩) «الحدائق والمحميات الوطنية الطبيعية»، منتدى الإيقاظ العلمي، http://www.primaire.edunet.tn/index_ecole/ecoles_etablissements/monastir/seducatif_eveilscentif/Page11.htm > .

مريم»، و«السحليات» البديعة. وتضم المحمية أكثر من ٥٠٠ نوع من النباتات. إضافة إلى ذلك، فإن المحمية تعجّ في فصل الشتاء بالطيور المهاجرة القادمة إليها من أوروبا وأفريقيا، ويناهز عددها في ذروة الفصل ٢٠٠,٠٠٠، مثل «البط الصفار»، و«العفاس الأحمر»، والعديد من الطيور المائية والبطيات كـ «الغرة» و«الإوز الرمادي». كما توجد فيها طيور مقيمة، وأخرى معششة، ولا سيما من «الجوارح» و«الجواثم»^(٤٠).

ويوجد في «محمية أشكل» العديد من العيون الحارة الكبريتية، أشهرها «عين النقران»، إلا أن سرعة تدفق مياهها ضعيفة، كما لا ينصح باستغلالها لأسباب صحية. ويضم هذا الموقع أيضاً متحفاً بيئياً بُني فوق هضبة تطل على البحيرة، وهو يضم بدوره معرضاً وثائقياً يعرّف بطريقة عمل المنظومة البيئية لـ «أشكل»، ويمكن عبر نوافذه التمتع بعروض الطيور وهي تحلق فوق البحيرة والسبخ، إضافة إلى توفره على مساحات للتنزّه ومركز للبيئة عند مدخل المحمية^(٤١).

خاتمة

إن المحميات الطبيعية عبارة عن مساحة من اليابسة أو البحر ذات الطابع الإيكولوجي المهم أو المنظر الطبيعي المميز، وهي ثروة طبيعية جمالية ثقافية وسياحية مخصصة لحماية وصيانة الموارد الطبيعية، وخصوصاً التنوّع البيولوجي، كما أنّها من الركائز الأساسية في سياسة التنمية الريفية. بالإضافة إلى ذلك، فهي تعتبر من أهم الوسائل الوقائية من أشكال التلوّث، والتدهور البيئي، والنمو السكاني السريع، والتمدد العمراني، وخطر فقدان جزء مهم من التراث الطبيعي والثروات المحلية للمجتمعات.

وتشكّل المحميات وسيلة وقائية من التغييرات الحضارية التي يدخلها الإنسان على البيئة، وبالتالي فهي تمثل شواهد حيّة من التراث الطبيعي والثقافي الذي يتوجب حمايته للمنفعة العامة حالياً وللأجيال المقبلة.

وهكذا تعتبر إقامة المحميات الطبيعية والثقافية من السبل المنتهجة في كثير من الدول، ومنها الجزائر، لتنمية المجتمعات المحلية وتحقيق سياحة مستدامة، تأخذ في الاعتبار أسساً أخلاقية واجتماعية وبيئية واقتصادية، من خلال حماية الموارد الطبيعية والثقافية، وتعزيز إنتاجياتها بشكل متواصل في المناطق المحمية، ونشر الثقافة البيئية، وبالتالي الحدّ من مخاطر الهدر والاستنزاف المغالي فيه لهذه الموارد. إضافة إلى ذلك، فهي تمكّن من توفير موارد الرزق لأبناء المجتمعات المحلية، وتدعيم اقتصاداتها، وصون خصائصها الثقافية وموروثاتها الشعبية.

(٤٠) الجمهورية التونسية، وزارة التربية، «محمية أشكل بتونس» < http://www.edunet.tn/ressources/Clubintnrt/projets/Ichkeul/Environnement/Ichkeul0_ara.htm > .

(٤١) الجمهورية التونسية، وزارة البيئة والتنمية المستدامة، الوكالة الوطنية لحماية المحيط، «الحديقة

< <http://www.anpe.nat.tn/ar/article.asp?ID0=241&ID=241> > .

الوطنية أشكل»

وعلى الرغم من وجود اختلاف كبير في الرؤى والغايات والأهداف، وطريقة إدارة وتوجيه المحميات باختلاف البلدان، فإن هناك إجماعاً حول أهمية إنشاء أشكال من الحماية للحفاظ على التنوع الحيوي والاستهلاك المستدام للموارد الطبيعية. كما أن هناك العديد من البلدان التي لها باع طويل في إدارة المحميات، وثمة البعض الآخر منها قد بدأ بالنظر إليها باعتبارها بؤراً للحفاظ على التنوع، وأحياناً مفتاحاً للتنمية الاقتصادية. ومع ذلك، فإن هذه النظرة تشكّل واحداً من أكبر التحديات، لأنها قد تؤدي إلى نشوء قضايا متعارضة بين سياسات الحفاظ على التنوع الحيوي والمجتمعات والتنمية □

صدر حديثاً

الأقباط ومطالبهم في مصر بين التضمين والاستبعاد

د. مي مسعد



تناول هذا الكتاب طبيعة وخصوصية سياسات التضمين والاستبعاد في مصر، في المرحلة التي تستغرق ١٨ سنة (١٩٩١ - ٢٠٠٨) بالتطبيق على أقباط مصر، كحالة دراسة، وذلك من خلال دراسة «مطالب الأقباط» والرؤى المختلفة المتعلقة بطبيعة هذه المطالب وموقف الدولة منها، سواء بالتضمين أو الاستبعاد.

وفي معرض التحليل والإجابة، سجّلت الباحثة بروز الحيرة بين إلقاء اللوم على الدولة وحدها بسبب محورية دورها وعدم القدرة على الوفاء بـ «مطالب الأقباط» والمجتمع الذي هو جزء من الأزمة، لأنه مضطرب اجتماعياً وقيماً، ويحوي في بنيته بذور التفرقة، كما أنه جزء من الحل لأن الدولة تأتي في سياق مجتمعي لا يمكن أن تنفصل عنه..

وخلصت الباحثة إلى تقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات للمستقبل، من أبرزها: (١) تمرير اقتراح القانون الخاص بتجريم الإساءة للأديان وازدراءها؛ (٢) تمرير مشروع حظر التمييز بين المواطنين؛ (٣) اعتماد مقرر «سماحة الأديان» في التعليم بمراحل كافة؛ (٤) وضع مشروع متكامل لسياسة «التضمين» في إطار تحليل موضوعي للخلل الاجتماعي والأشكال الجديدة من الانقسامات الاجتماعية التي تؤدي إلى الاستبعاد والتهميش الاجتماعي.

٤٩٥ صفحة

الثمن: ٢٢ دولاراً

أو ما يعادلها